الشخصية الروائية بين التناص الديني والسيري

نزيهة الطيب عيساني – جامعة طاهري محمد – بشار – الجزائر
إبراهيم محمد عبد النور – جامعة طاهري محمد – بشار – الجزائر

مُلَّخصُ:

تهدف الورقة البحثية إلى قراءة دلالة التناص الديني والسيرذاتي اللذين وظفها الكاتب **"واسيني الأعرج"** في رواياته **"أصابع لوليتا"** لبناء شخصية **"يونس مارينا"**، كما أنها تبين أن آلية التناص المستثمرة في النص الروائي لم يكن دافعها القصور أو العوز المعرفي، وإنما هي تنم عن مقدرة فنية وإبداعية تكمن في استدعاء شخصية دينية متمثلة في شخصية يونس عليه السلام ليجعل منها قناعاً فنياً يمر عبره أفكاره ورؤيته لقضايا وهموم الوطن الجزائري، فسرب جزئيات من سيرته الذاتية برشاقة ورسم بها ملامحاً من شخصية يونس مارينا بريشة التخييل ليؤكد من خلاله رؤيته بحمولة دلالية فنية منسجمة.

Résumé :

Le but de cette recherche est de déchiffrer la signification de l'intertextualité religieuse et autobiographique employées par Waciny Laredj dans ses romans "*Les Doigts de Lolita*" pour la construction du personnage de Younis Marina. Elle montre également que le mécanisme de l'intertextualité investi dans le texte narratif n'était pas motivé par le manque de connaissance, mais il explore la capacité artistique et créatrice qui réside dans l'appel d'un personnage religieux représenté par la personnalité du prophète Jonas afin de faire de lui un masque esthétique pour passer ses idées et sa vision envers les enjeux et les préoccupations de la patrie algérienne. Il a glissé habilement, des passages de son autobiographie en dessinant d'une façon fictive des aspects du personnage de Younis Marina pour en confirmer sa vision d'un tonique artistique harmonieux.

مقدمة:

الشخصية الروائية مكون سردي يشتغل بالتفاعل مع الزمن، المكان، والحدث لتشكيل البنية السردية للنص الروائي وبناء دلالته، تناولها النقاد بالدرس والتحليل لبلورة مفاهيمها بدءا من النقد الكلاسيكي إلى يومنا هذا مع النقد الجديد ولم يتوصلوا إلى مفاهيم قارة تؤسسها، نظراً لتنوع وتعدد الرؤى والتوجهات الفكرية والثقافية، ضف إليها تعدد المناهج النقدية.

فكانت هذه المفاهيم النظرية في مستهل هذه الورقة البحثية باعتماد منهج تاريخي مطعم بالوصف والتحليل، ولأن التنظير وحده لا يكفي فقد اعتمدت جانباً تطبيقياً يرتكز على عنصرين هما: استدعاء الشخصية الدينية المتمثلة في شخصية سيدنا يونس عليه السلام، وثانيها التناص السيري المؤسس على إدراج شذرات من السيرة الذاتية للكاتب واسيني الأعرج من خلال شخصية "يونس مارينا" بمقاربة سيميائية تتغيا قراءة دلالة توظيف الكاتب لاسم يونس مارينا في علاقته بسيدنا يونس عليه السلام صاحب الحوت، واستجلاء الخيوط الرابطة بين المؤلف والصحفي/الكاتب الروائي على أرضية السيرة الذاتية للكاتب، تحت تساؤل: كيف وظف الكاتب آلية التناص للمزج بين الشخصية الدينية والسيرة الذاتية في بناء أبعاد شخصية يونس مارينا وفقا لرؤيته؟

1- مقاربة نظرية لمفاهيم الشخصية

تعد الشخصية إحدى العناصر البانية والمشكلة للمتن الحكائي وقد عدّها بعض النقاد "العمود الفقري للقصة" فاهتموا بدراستها من كافة الجوانب، معتمدين في ذلك المناهج السياقية سبيلا لتحليلها وسبر أغوارها، فكانت الشخصية من منظور نفسي، اجتماعي وتاريخي وغيرها من الإسقاطات التي تربط الشخصية بمحيطها الخارجي، دون الالتفات إلى دلالة توظيف الشخصية وتأثيرها وتأثُّرها وتفاعلها مع العناصر السردية الأخرى المكونة للنص.

وإذا عرجنا على الروايات التقليدية ألفينا أن الكتاب احتفوا بالشخصية احتفاء منقطع النظير، فحظيت بمكانة بالغة الأهمية حتى أنها كانت تنعت برواية الشخصية وآية ذلك "أن بلزاك (Balzac) الكاتب الفرنسي المعروف لم يشتهر إلا بشهرة الأب غوريو (Le père Goriot) أحد شخصيات الرواية الموسومة بالعنوان نفسه، ولم يشتهر دوستويفسكي (Dostoïevski) الكاتب الروسي إلا بشهرة كارامازوف أحد الشخصيات الرئيسة في رواياته الإخوة كارامازوف (les frères Karamazov)"[1]

[1] ألان روب غرييه، نحو رواية جديدة، ت: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض، مصر، دار المعارف، دت، ص 34.

من هذه الرؤية دأب كتاب الرواية التقليدية على التفنن في رسم شخصياتهم وأبدعوا فيها شكلاً وصياغةً حتى أن الكثير من الشخصيات الروائية حفرت في الذاكرة وصارت وسما تعرف به الروايات وبديلاً عن كاتبها وحتى عنوانها وزالت "من الذاكرة الأحداث وتطورها وعلقت بذهنية القارئ الشخصية الإنسانية النابضة التي خلقها الكاتب"[2].

وكان معيار الجودة عند النقاد الكلاسيكيين قدرة الروائي على رسم شخصية تطابق الواقع وتنبض بالحياة ويعبر من خلالها عن رؤيته للحياة والمجتمع، فكانت شخصياتهم مرآة عاكسة لواقع الناس وطبائعهم على أساس "كائن حي له وجود فيزيقي بنيته النص الروائي"[3]، غير أن هذه النظرة التي تعلي من مكانة الشخصيات أفلت مع ثورة المناهج الحديثة التي أقصت استبداد الشخصية وإسقاطات المناهج السياقية، لتبهت بذلك ملامح الشخصية الروائية ويتقلص حضورها ووجودها الفيزيقي المطابق للواقع وصار لنقاد يعتبرونها "كائناً ورقياً يصيغه الكاتب عن طريق اللغة" النقد البنيوي للحكاية وكان للمنهج البنيوي، والقراءة التفكيكية والمقاربة السيميائية تأثيرها في دراسة الشخصية الروائية وبلورة مفاهيم جديدة جعلت منها عنصراً مكملاً لباقي مكونات النص السردي ويتفاعل معها في في تشييد دلالة النص الروائي وبناء الرؤية التي ينشدها الكاتب.

وعلى أسس المنهج البنيوي انطلق فلاديمير بروب (Vladimir Propp) في دراسة نصوص الحكاية الخرافية على أساس "الشخصية والوظيفة" فجعل من الوظيفة خالقة للشخصية باعتبار أن الشخصية متغيرة والوظيفة ثابتة بيد أن كلود ليفي ستروس (Claude Lévi-Strauss) يراها دراسة قاصرة رغم تميّزها لأنه همش دلالة الشخصية ففي "تغيرها وتحولها المستمرين تنمح فرصة ثمينة لإدراك المضمون الحقيقي للحكاية ولتلوينها الثقافي والإيديولوجي ... وإذا لم نأخذ هذا البعد الثقافي بعين الاعتبار في تعاملنا مع الشخصية فسنبقى في حدود تحليل شكلي لا طائل من ورائه"[4]، فدراسته لم تلامس عمق الشخصية وتوقفت على حدود الدراسة السطحية لها.

وتستمر حلقة الدراسات النقدية في دراسة الشخصية بحثاً عن رؤية أكثر عمقاً وشمولاً، فجاء غريماس (Grémas) بدراساته التي استفاد فيها من فكرة النموذج الوظيفي "لفلادمير بروب" وصاغ منها مفاهيمه النظرية حول الشخصية، وطوّع مفاهيم سابقه بروب لتطبق على نماذج حكائية أخرى غير الخرافة فوضع النموذج العاملي (Modèle Actanciel) وجعل مصطلحي العامل (Actant) والممثل

[2] رياض الدعمي، بناء الشخصية في روايات ميسلون هادي، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، العراق، 2017م، ص11.
[3] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998م، ص 126.
[4] سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشخصيات السردية "رواية الشراع والعاصفة أنموذجا"، عمان، دار مجدلاوي، ط1، 2003م، ص26.

(Acteur) بديلاً للشخصية ويكمن الفارق بين المفهومين في أن "المستوى العاملي تتخذ فيه الشخصية مفهوماً شمولياً مجرداً يهتم بالأدوار ولا يهتم بالذوات المنجزة... ومستوى ممثلي نسبة إلى ممثل تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي فهو شخص فاعل يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد أو عدة أدوار عاملة"[5]، ونصل عند فيليب هامون (Philippe Hamon) الذي بلور مفهوما دقيقا للشخصية الروائية يبنني على مكونين لساني/لغوي على أساس أنها دال يحيل على مدلول ولا تكتمل صورتها إلا من خلال عملها مع باقي الشخصيات في النص السردي والتأويل الذي يشيده القارئ" باعتبارها مورفيماً فارغاً أي بياضاً دلالياً فهي بذلك لا تحيل إلا على نفسها إنها تحتاج إلى بناء يقوم بإنجازه النص لحظة (التوليد) وتقوم به الذات المستهلكة للنص لحظة(التأويل)"[6]. فالنص يشيد الشق الأول من بنية الشخصية ويكتمل شقها الثاني عبر القراءة المنوطة بالقارئ الذي "سيعيد بناءها كما يقوم النص بدوره ببنائها"[7]، ستشف إذن من رؤية فيليب هامون أن بنية الشخصية ترتكز على أسين هما النص والقارئ لتكتمل دلالتها النهائية وهي الرؤية نفسها التي تبناها سعيد بنكراد فيرى أن "الشخصية باعتبارها بناء وليس معطى جاهزاً محدداً سالفاً لا تكشف عن مجموع دلالتها إلا مع نهاية الزمن الإبداعي ونهاية الزمن التأويلي"[8]. وتبقى الدراسات النقدية مستمرة في استجلاء جوانب الشخصية الروائية، ورصد تفاعلها مع مكونات النص السردي في علاقة التأثير والتأثر.

2- المقاربة التطبيقية:

2-1- إستدعاء الشخصية الدينية "يونس عليه السلام"

يلجأ واسيني الأعرج في الكثير من رواياته إلى تقنية استدعاء الشخصيات الدينية ليعبر من خلالها عن رؤيته لقضايا عصره، ويصطلح على هذا النوع من الاستدعاء بالتناص الديني لكون الكاتب يستحضر رمزاً أو نصاً دينياً فيوظفه على مستويات عديدة كتوظيف البنية الفنية، استحضار الشخصيات الدينية وتصوير البطل في ضوئها وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية بل فيوظفه "على مستويات عديدة كتوظيف البنية الفنية، استحضار الشخصيات الدينية وتصوير البطل في

[5] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص 52.
[6] فليب هامون، سيمولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كليطو، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، ص15
[7] المرجع نفسه، ص22.
[8] سعيد بنكراد، سيمولوجيا الشخصية السردية، ص105.

ضوئها وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية بالإضافة إلى التنويع في إدخال النص الديني في الرواية"[9] فبطل الرواية اسمه الحقيقي سلطان حميد السويرتي، لطالما أقلقه سؤال محير عن سر هذا الاسم المزدوج الذي يجري وراءه كظله، ففكت والدته مغاليق اللغز قائلة له إنه" مجرد نفحة من جدك الذي أراد أن يعطي استمراراً للسلطان حميد الذي كان أبوه معجباً به وبشجاعته"[10]. ولكن هذا الاسم مات مذ بدأ الكتابة بأسماء مستعارة، فعاش في عالم افتراضي مستعار صاحب فيه يونس مارينا طوال عمره لأن مصدره "حلم غريب وجنون لا يحسد عليه"[11]. فجأة وجد نفسه صحفيا على إثر مقالة أسماها الانقلابيون كتبها عن الانقلاب الذي أطاح بالرايس بابانا، كتب عن رجل لا يعرف عنه سوى أنه صديق والده، فوجد نفسه بالصدفة في مكان يفترض أن لا يوجد فيه حينها "شعر مارينا بشيء غريب هو مزيج من الخوف والفرح هو الذي كان يحلم دائماً بأن يكون صحفياً أو كاتباً يعبر الكرة الأرضية على متن الطائرات العملاقة، لكن الأمر بدا له دائماً بعيد المنال"[12]. واصل لعبة الكتابة حقيقة يمزجها بخياله استكان فيها لحريته، مستمتعاً بسحر هذه اللعبة التي لم" يكن يدرك مخاطرها، وأن اللعبة نفسها التي مازح بها قدراً مجنوناً ستنقلب عليه يوماً ما، وتسحبه نحو فجيعة كانت أكبر من سنه"[13].

مقالات مارينا نقلت تفاصيل سرية عن أدق الدقائق المتعلقة بالرايس بابانا لاقت صدى طيبا بين الرافضين للانقلاب وهم يرددون"خليه ... مليح ... سيعريهم وستعرف على الأقل سيرة الرايس بابانا الذي لم يكن سيئا لهذا الحد. لن يجرؤا على قتله بعدما فضحوا نهائيا و إلا سيشكل ذلك فضيحة دولية تسحب منهم ما تبقى من شرعية ثورية؟ الفضيحة عندما تخرج من أيديهم تصبح مخيفة"[14].

أزعج مارينا النظام بكتاباته التي أججت النقاشات في مقهى النجمة ليصبح في نظره عميلا يستحق الاستئصال و"تطلب السلطات العسكرية من كل من رأى أو تعرف على العميل المسمى يونس مارينا ومجموعته التي يشتغل معها ... أن يعلم السلطات عنه أو يتصل بأي مركز أمني أو أية ثكنة ... لقد استكثر الخونة على بلادنا استقلالها ولكن يد الدولة ستضرب بقوة الفولاذ والنار[15]. لحظة صادقة جعلت ابن الشهيد كاتباً بمقالة نسجها بأكاذيب جعلته مطارداً بقية حياته.

[9] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دمشق منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002م، ص 48.
[10] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، دبي، دار صدى للنشر والتوزيع، ط1، 2012م، ص157.
[11] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[12] المصدر نفسه، ص86.
[13] المصدر نفسه، ص91.
[14] المصدر السابق، ص103.
[15] المصدر نفسه، ص 106.

فتسمية يونس مارينا تحليل في جانبها التناصي على شخصية النبي يونس عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم سواء في علاقته بالبحر أو تخليصه لقومه بإسلامهم جميعا لقوله تعالى: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِين (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْف أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين (48)"[16]. وأيضاً لفظة مارينا الأجنبية نسبة إلى البحر من كلمة La marine - La mer وكأنه تناص ضمني في حيثيات الحياة بين يونس (صاحب الحوت) النبي عليه السلام ويونس مارينا الصحفي، بالفعل يونس مارينا أبق من ذئاب العقيد الذين هددوه بالقتل، بسبب مقالاته التي فضحت أعمالهم الشنيعة، فاضطر إلى مغادرة البلاد بأوراق مزورة غيرت مسار حياته فقبل أن يغادر اختفى عن الأنظار وعاش في حفرة مظلمة اكتشف في الأخير أنها ماخور عيشة الطويلة، "أين قضى ستة أشهر في مكان مغلق في ماخور عيشة من أجل فعل كان بمثابة جريمة لم يقدر مخاطرها"[17]. فهذه العتمة في كنف الحفرة السوداء المظلمة أشبه ببطن سمك الحوت يتقاطع "بشكل رمزي مع حوت سيدنا يونس عليه السلام"[18] بعد أن التقمه ووفر له الأمن والحماية من موت محتّم كذلك المكان المغلق منح للصحفي مارينا أماناً مؤقتاً من مطاردة الذئاب. يتقاطعان في ظلمة المكانة، حملا عبء التغيير الثقيل، فرّا إلى البحر فتدراكتهما عناية الله تعالى، فيونس مارينا وفق على تخوم اليأس مما أصابه ولكنه لم يسمح له أن يقتله أو يستعمره أو يغير عنوانه أو يدخله القبر باستسلام، ببساطة اختزل كل الحكايات ورفض أن يموت قبل أن يموت.

أراد أن يبلغ رسالة آمن بها ولكنه جُوبه بالاعتراض، التهديد والتصفية الجسدية، فأرغم على الهجرة، "فلا نبي في وطنه" كما قال "إتيان"، حينها انقطع الحبل السري الذي ربطه بالوطن واتصل بوطن آخر أهداه الأمان والحرية التي حرمه منها في زمن مضى، فعجبا تنقلب الموازين وتصاغ المعادلات بطرق مغايرة،حماه اليوم من قتل والده بالأمس وهذا تساؤل ظل يطارد ماري "لما اختار مارينا المكوث في بلد كان من وراء اغتيال والده في التعذيب؟ هذا سؤال حقيقي سيأتي يوما ويوضع كل شيء على طاولة النقاش المّر"[19].

---

[16] سورة الصافات من الآية 139 إلى 148.
[17] المصدر السابق، ص 62.
[18] حميد عبد القادر، تجليات انقلاب بومدين على أحمد بن بلة في رواية "أصابع لوليتا"، نشر في مغارب كم يوم 2013/01/15، https://www.maghress.com/magharib/34068
[19] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص139.

فاستدعاء شخصية يونس عليه السلام لم يكن عبثا وإنما هو استدعاء ينبع من مقصدية يتدثر خلفها الكاتب ويمر عبرها رؤيته لمنهة الصحافة أنها أشبه برسالة الأنبياء ومها كان حاملها بين قومه وعشيرته فإنه يقابل بالرفض والمعارضة إن دعا لمفاهيم تخالف معتقداتهم الراسخة المتجذرة في الأعماق فهنا يحدث التقاطع بين الشخصيتين فيونس مارينا دعا إلى رفض الانقلاب والتمسك بالشرعية فكان مصيره الملاحقة والتهديد بالموت فكان البحر والماخور ملاذه للنجاة.

2-2- الشخصية الروائية والتناص السيرذاتي:

يعمد واسيني الأعرج في كتاباته الروائية إلى آلية التناص مع سيرته الذاتية "فيمزج مابين حمولة الذاكرة الفردية وعنصر الخيال" [20]، إذ تحضر هذه النصية الذاتية في أشكال عدة منها الشخصيات،فهو يعبر من خلالها عن ذاته بتوظيف مرجعيات سيرية لصيقة بحياته وعائلته تبدو سيرة ذاتية غير معلنة، وأنا لا تفصح عن ذاتها وحقيقتها ليحقق ذلك التمازج بين الذات والواقع مطعماً بالتخييل، ونستشف هذا من خلال شخصية يونس مارينا فالكاتب يتعالق معه بإدراج جزئيات من سيرته الذاتية، لينقل تجربته للآخرين بالاتكاء على محمول الذاكرة.

وبتتبعنا لحيثيات وتفاصيل حياة يونس مارينا الصحفي / الكاتب الروائي نتلمس أثرا لواسيني الأعرج في صياغته لهذه الشخصية ، فيونس مارينا لم يهنأ يوما ظل مطارداً هارباً من ذئاب العقيد، واليوم من أيادي الجماعات المسلحة التي أفتت بقتله، لجرأته على المساس بالمقدسات في رواية عرش الشيطان حينها "ابتسمت "ماري" كمن اكتشف سراً مبطناً هل تعلم يا دافيد أن والد يونس مارينا حمل السلاح ضد فرنسا، ونحن نحميه اليوم"[21]، ما يعانيه مارينا فيه إشارة إلى أزمة المثقف الذي يطارد بسبب أفكاره وجرأته في البحث عن الإجابة للأسئلة المغلقة الغامضة، يريدون تكميم فمه، حتى تسود العتمة العقول وينغمس الجميع في غياهب الجهل وينقادون كما تقاد الدواب، لعنة القتل تطارده كظله كما يقول مارينا: "على كل حياتي كانت كلها عن عبارة مخاطر متكررة، من ذئاب العقيد إلى جراد الإمام الضحية دائما فراشة ألوانها لم تعد تروق للقتلة"[22].

هذه الأحداث في حياة الصحفي والروائي مارينا عايشها واسني الأعرج في فترة من حياته واستثمرها ليدغم شتاتا من سيرته الذاتية، ويسير بها برشاقة في

[20] نضال قاسم، النص الإبداعي بين السيري والمتخيل الشعري، الأردن، دار البيروني للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص60.
[21] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص 138.
[22] المصدر نفسه، ص171.

ثنايا الأحداث المتنامية بتصاعد، فهو أيضا كاتب روائي تعقبته الأيادي السوداء بالمطاردة والتهديد بالقتل، فقط لكونه مثقفا رفض الإجابات الجاهزة عن أوضاع بلده فتصدى لمساءلة الأوضاع علّه يجد جوابا يشفي غليله، فكان ثمن ذلك العيش خارج الديار بلد قتل والده ببرودة، ومنحه الحياة الآمنة بحرارة وحفاوة، ليس هذا التقاطع الوحيد بل نلفى مارينا يعود بنا إلى ذكرياته الطفولية في مدينة مارينا إلى حضن جدته أو "حنا" فاطنة كما يسميها رحل إلى حكاياتها المشوقة بتأشيرة الذاكرة فرأى نفسه فجأة جالسا في "حضن حنا فاطنة وهي تحكّ على رأسه ليكون حظه في الدنيا كبيرا، وتحكي له أجمل الحكايات، بالقرب من مدفأة طينية صنعتها بيدها في شبابها لتفادي برد البيت الذي لا شيء يصده في فصل الشتاء"

بصمة شخصية من واسيني حاضرة كالشذرات بإبداع حين عانى كما يعاني يونس مارينا بسبب كتاباته هي معاناة طالت كل مثقف في هذا البلد يحكيها صديقه موسى الأحمر بتحسر " ظننت أننا يمكن أن نغير العالم بسهولة كبيرة ونسينا أن القتلة كانوا أشرس، لم نكن نحمل إلا أفكارنا وكانوا يحرقون كل شيء يفكر كانوا يا عزيزي أسوأ من غوبلز يحفرون حفر الموت لكل من يخالفهم.... وساروا على هدي شعار كل من ليس معنا فهو ضدنا"[23].

وتبقى الكتابة قدر الأعرج كما هي قدر مارينا صدفة جعلت منه كاتباً صحفياً إلى روائي انزلق في غمار لعبة ساحرة ومجنونة بمقالة الانقلاب، دفع ثمنها غالياً ليعيش حياة قلقة باسم مستعار لازمه طوال حياته، هي آلالام دفينة وغائرة تعتلج في صدره كلما تذكرها شعر بالألم وكأنه حدث اللحظة، "واختار قدراً آخراً هو الكتابة لكي يشفى من الوطن ذاته"[24] وهي عبارة لطالما رددها واسيني الأعرج.

يونس مارينا ما هو إلا صورة مختزلة من واسيني الأعرج، كلاهما يلتقي في المعجم ذاته، شهيد، ابن شهيد،أرملة شهيد، والمعاناة ذاتها يواجهان مصيراً واحداً، عنوانه المطاردة والموت غير أن الأعرج هدده سدنة الدين بالقتل في بلده واضطر أن يهاجر بعدما ضُيِق عليه وعاش في مناخ من الألم،في وطن يقتل أبناءه،بينما مارينا واجه التهديد وهو في فرنسا، الأيادي السوداء طويلة لاحقته حتى وهو هناك،أصدرت فتوى بمشروعية قتله كما فُعل بالأعرج من قبل بقولهم: "إن مارينا عندما كتب عرش الشيطان حكم على نفسه بنفسه ثم إن الحكم عليه جاء لعمالته إضافة، إلى كتاباته التي تعمل على إفساد أخلاق الناس السم في الدسم، مارينا بعمله هذا كان أسوأ من سلمان رشدي، الأمير أعطى الأمر باختطافه أو

[23] المصدر السابق، ص 119-120.
[24] المصدر نفسه، ص 126.

قتله، أو مجازاة كل من يقوم بذلك لأن قتل الكافر من أمر الله ... الطغاة يجب أن يقتلوا، يجب أن يدفعوا الثمن وأن يعرف أعداء الإسلام أن هناك يدا للقصاص"[25]

روايته"عرش الشيطان" قلبت حياته جحيما كما قلبتها مقالتة من قبل، يترصد به الموت من كل زاوية "حكم عليه بالإعدام بسببها تصوري في أي عصر نحن؟ كيف يمكن أن يكون كتاباً سبباً في هلاك إنسان"[26]. والرواية نفسها صنعت اللقاء مع لوليتا التي غيّرت رتابة حياته، إنها مفارقة القدر، الرواية التي تهدد بالموت تمنحه حياة من بين فكي الموت.

هذه اللوليتا القادمة من عالم الموضة، أيقونة استعارتها الجماعات المسلّحة من عالم مليء بالهشاشة إلى عالم يضج بالعنف والقتل،شتان بين العالمين، ولكنها وسيلة للتمويه لتصفية مارينا جسديا بعدما شحنت بمعلومات مغالطة عنه، إذ بها تكتشف شخصا آخر منحها الحياة، ومشاعر خاصة افتقدتها من أقرب المقربين. هي قنبلة موقوتة جندت لتفجير مارينا لكنها فجرت نفسها لتمنح له الحياة ، فحين احتفلت بأجمل عيد ميلاد في حياتها كما قالت، تخلصت من ألم أثقلها وكأنها تضع آخر وصية بين يدي مارينا "أتمنى أن تحبني بالشكل الكافي وتصلي يوما من أجلي، أعتقد أني أحبك ومازلت قادرة على الموت لحمايتك من نفسك، ومن الآخرين القتلة في البلاد كثر وهوياتهم تعددت"[27].

ورغم نعتها بالإرهابية التي حاولت قتل مثقف سياسي في بلد منحه الأمان، إلا أنه في قرارة نفسه يدرك أنها شخص مغاير لما يروجون من أخبار"لوليتا كانت شيئا آخر، كانت ضحية لأصابعها، من الذي سماها ملاك النّار القاسي؟ من الذي أعطاها هذا الشوق الغريب؟ من قربها من الحنين الذي لا يموت أبدا ؟من أعطاها صفة الغرابة وهو لا يعرف شيئا عنها"[28].

انتصرت لوليتا لقيم النبل بطريقتها الخاصة كما رسمها الأعرج، كما انتصر مارينا هو الآخر لقيم النبل رغم ثقل المعاناة على كاهله، وظل محافظاً على إنسانيته فيوجز مارينا حياته بقوله: "كذبة صنعت مني كاتبا وصدفة قاسية واستثنائية رمت بي نحو المنافي سرقت مني حياة ومنحتني أخرى، وصدفة أسوأ تضعني اليوم على رأس المهددين بالموت"[29].

[25] المصدر نفسه، ص321-322.
[26] المصدر السابق، ص135
[27] المصدر نفسه، ص 439.
[28] المصدر نفسه، ص 452.
[29] المصدر السابق، ص 129.

النص مليء بالرمزية المكثفة في تفاعل الشخصيات داخل مسار النص "فلوليتا تأخذ رمز الثورة الجزائرية التي تم إجهاضها بعد الاستقلال. ومارينا رمز للاستقلال وكأن الروائي يريد لفت انتباهنا إلى أن الثورة والاستقلال لا يبنيان وحدهما المستقبل، بل ضمان استمراريتهما مرهون بالتفتح على الثقافات والحضارات والتواصل مع الآخر"[30].

قد يثيرنا هذا الوصل المتناقض بين بطلي الرواية فمسمى "يونس" تحيلنا دلالته على المقدس بكل حمولته، وبالمقابل يبرز اسم "لوليتا" محملاً بشحنة دلالية عنوانها الجرأة والإغراء أو المدنس بكل حمولته، وفي ثنايا ذلك جمع بين بطل يدين بالإسلام والبطلة تعتنق الديانة المسيحية. ونسج خيوط هذه التناقضات بالأصابع التي جعلها فاعلة في كل مسار الرواية فهي تمنح الحياة والموت، وترسم البهجة والكآبة، وتنشر النور والعتمة وبيقى السؤال مطروحاً ماذا أرادت أن تقول أصابع لويتا؟.

3- الخاتمة

ونخلص في ختام هذه الورقة البحثية إلى أن:

- الكاتب لجأ إلى التناص الديني باعتباره مصدراً خصباً فاستدعى من خلاله شخصية النبي يونس عليه السلام وأعاد تشكيله برؤية دلالية فنية.
- تمكن المؤلف من إدراج سيرته الذاتية بسلاسة في ثنايا المتن الروائي ليمرر من خلال شخصية يونس مارينا تجربته الشخصية للآخرين.
- شخصية "يونس مارينا" تندرج ضمن فئة الشخصيات المرجعية حسب تصنيف فليب هامون لما يحمله من خلفية فكرية ومحمول إيديولوجي وثقافي يدرك عبر قراءة الرواية وعلى أساس هذا التحديد المرجعي نخصص تصنيفها بانتمائها إلى الشخصية المجازية الإشارية لأن قراءاتها وتأويلها تمتد ظلاله خارج النص الروائي في تواشجها مع القصص القرآني وشخصية المؤلف.
- كما أن شخصية يونس مارينا "شخصية عميقة لأنها تؤدي وظيفة فكرية وتسعى لتبث أفكارها"[31] فهو متأثر بأفكار الكاتب الذي تدثر خلفه لتمرير أفكاره ومبادئه التي يرغب في توصيلها للقارئ.

---

[30] جمل غلاب، مقاربة في أصابع لوليتا لواسيني الأعرج، مجلة مسارب، 20 يناير 2013، http://massareb.com/?p=2614 /20

[31] إدريس بوذيبة، البناء والرؤيا في روايات الطاهر وطار، أنتج في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص97.

- من ميزات الروايات الجديدة أفول مفهوم الشخصية البطلة لصالح البطولة المشتركة بين جميع شخصيات النص الروائي فكل شخصية تمثل دور البطولة "في حدود الوظيفة التي تؤديها"[32] فنلفي يونس مارينا يمثل دور المدافع عن رؤية الكاتب وأفكاره وتبرز شخصية لوليتا لتحمل رؤى مضادة لما يحمله مارينا وهكذا تتوزع البطولة على الشخصيات لتشكل عالم الرواية.
- نجد أن تصميم شخصية مارينا يخضع للتقاسيم التالية:
  - جزائري الهوى، ولكن مغتصب الهوية
  - محروم من السند العاطفي والمعنوي
  - إحساس بالاغتراب النفسي (فهو لاجئ سياسي بهوية عدو الأمس (فرنسا))
  - حامل لإيديولوجيا الكاتب ورؤيته وثقافته المعادية للنظام.

[32] المرجع نفسه، ص98.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

- واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، دار صدى للنشر والتوزيع، دبي، الطبعة الأولى، 2012م.
- إدريس بوذيبة، البناء والرؤيا في روايات الطاهر وطار، أنتج في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1991م.
- سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشخصيات السردية "رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا أنموذجا"، عمان دارمجدلاوي، الطبعة الأولى، 2003م.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998م.
- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002م.
- نضال قاسم، النص الإبداعي بين السيري والمتخيل الشعري، الأردن، دار البيروني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015م.
- ألان روب غرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفي إبراهيم مصطفى، تقديم لويس عوض، مصر، دار المعارف، دت.
- فليب هامون، سيمولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كليطو، سوريا، دار الحوار للنشروالتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م.
- رياض حسن هادي الدعمي، بناء الشخصية في روايات ميسلون هادي، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، العراق، 2017م.
- جمال غلاب، مقاربة في أصابع لوليتا لواسيني الأعرج، مجلة مسارب، 20 يناير 2013. http://massareb.com/?p=2614/20
- حميد عبد القادر، تجليات انقلاب بومدين على أحمد بن بلة في رواية "أصابع لوليتا"، نشر في مغارب كم، يوم 2013/01/15، https://www.maghress.com/magharib/34068